ديناميكيّة ثقافة العيش المشترك:

من الجوار إلى الحوار ومن الحوار إلى الجوار

السيد محمد الشاهد وثروت قادس أنموذجًا

القسّ عيد صلاح

النسور، يناير 2024م

مصريون قبل الأديان،

مصريون بعد الأديان،

مصريون إلى آخر الزمان.

نعمات أحمد فؤاد

مُقَدِّمَةٌ

موضوع مشاركتي في ملف "الحوار" للنسور (يناير 2024م)، هو: "ديناميكيّة ثقافة العيش المشترك: من الجوار للحوار ومن الحوار للجوار". تناقش الورقة الفرق بين السجال والجدل والحوار، والتركيز على أهمية الحوار والفهم والعيش المشترك، وكسر الصور النمطية عن الآخر، وإبراز قيمة المؤلفَيْن في دفع عجلة الحوار بالتأكيد على العيش المشترك في ديناميكية حقيقية تعرف الآخر وتقبله، وتعرف المختَلَف فيه أو عليه وتحترمه.

التعريف بالكتابين:

واخترت نموذجين معاصرين للحديث عنهما، هما: الدكتور السيد محمد الشاهد، والدكتور القسّ ثروت قادس، وكلٌّ منهما كتب كتابًا في هذا الموضوع ولكن بمدخل مختلف.

المسيحيّة والإسلام من الجوار إلى الحوار

فالدكتور محمد السيد الشاهد، الأستاذ بجامعة الأزهر ومدير أكاديميّة المعلمين الإسلاميّة بفيينا–النمسا، كتب كتابًا اسماه: "المسيحيّة والإسلام من الجوار إلى الحوار"، صدر عن دار نشر الأمين للنشر والتوزيع في طبعته الأولى عام 2001م، ويقع الكتاب في 222 صفحة من القطع المتوسط. وقد صدر عن الهيئة المصريّة العامة للكتاب عام 2013م، في 220 صفحة من القطع المتوسط.

والكتاب مُقسَّم إلى بابين: يتضمن الباب الأول 8 فصول عن آراء بعض المستشرقين ودارسي علم اللاهوت في أسباب الصدام بين المسيحيّة والإسلام، أما الباب الثاني فيتضمن ستة فصول وهي ردود علماء الإسلام من البلاد الإسلاميّة. والكتاب نتاج عدة ندوات نظمتها جامعة توبنجن بألمانيا.

المسيحيّة والإسلام من الحوار إلى الجوار

تلاه بعد ذلك كتاب الدكتور القسّ ثروت قادس، وهو قسّيس إنجيليّ وأكاديميّ مصريّ يقيم بألمانيا، وعنوانه: "المسيحيّة والإسلام من الحوار إلى الجوار"، الصادر عن دار البستانيّ للنشر والتوزيع، عام 2006م، ويقع الكتاب في 159 صفحة. ونُشِرَ هذا الكتاب أيضًا في الهيئة المصريّة العامة للكتاب ضمن سلسلة مهرجان القراءة للجميع، 2007م. ناقش كتاب "المسيحيّة والإسلام من الحوار إلى الجوار" مستقبل الحوار والجوار بين الإسلام والمسيحيّة في ظلِّ ما يواجهه العالم العربيّ الآن من موجات كراهية وتعصب ضد الأديان. ويناقش المؤلف في البداية مفهوم "الحوار" ويسوق لذلك اقتباسات من القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد، ثم يناقش أثناء ذلك لفظ "الجدل" الذي يراه مطابقا للحوار.

التعريف بالكاتبَيْن: الشاهد وقادس

وقبل الحديث في الموضوع حريٌّ بنا أن نُعرِّف القارئ العربيّ بالدكتور محمد السيد الشاهد، والدكتور القسّ ثروت قادس، وهما مصريان يجمعان شمال الوادي وجنوبه، احتكا عن قرب بالثقافة الغربية وكانت لهما إسهاماتهما المتميزة في مجال تخصصهما.

مَنْ هو الدكتور السيد محمد الشاهد؟

ولد في الشرقية 30 من يونيو 1945م. حصل على ليسانس الفلسفة وعلم النفس والاجتماع- كلية الآداب-جامعة عين شمس 1963-1970م. دراسات خاصة في العلوم الإسلاميّة (خلال دراسته الجامعية) 1965م، عمل مدرسًا للفلسفة في أسوان 1971-1972م. حصل على درجة الماجستير في جامعة توبنجن-بجنوب غرب ألمانيا، 1978م. حصل على درجة الدكتوراه في جامعة

زارلاند- ألمانيا1983م. عمل مدرسًا بمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلاميّة 1983-1984م. عضو هيئة التدريس كلية الشريعة-جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، وحصل على درجة أستاذ الحضارة الإسلاميّة 1985-1991م. مدير قسم الدراسات الاستشرافية- أكاديمية البحوث- جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض 1991-1995م. اختير عضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة. لجنة الفكر الإسلاميّ والقضايا المعاصرة، 1996م. عُيِّن مستشارًا لوزير الأوقاف المصري للدراسات والموسوعات الإسلاميّة، 1997م. يشغل منصب مدير أكاديمية المعلمين الإسلاميّة- فيينا منذ 2003م. له العديد من الدراسات والكتابات المنشورة باللغة العربية.

من هو الدكتور القسّ ثروت قادس؟

هو من مواليد 1942م بمدينة ملوي في محافظة المنيا، مصر. حصل على بكالوريوس العلوم اللاهوتيّة عام 1961م، ورُسِم قسًّا في كنيسة السنبلاوين الإنجيليّة بمحافظة الدقهلية عام 1964م، ودرس العلوم اللاهوتيّة والفلسفيّة بجامعة هيدلبرج بألمانيا من عام 1968م وحتى 1972م، وفي عام 1973م عمل راعيًا في الكنيسة الألمانيّة حتى عام 2002م كأول مصريٍّ يعمل راعيًا في الكنيسة الألمانيّة، وحصل على دكتوراه في اللاهوت العمليّ من لويز فيل بأمريكا، وكان موضوع رسالته الحوار المسيحيّ الإسلاميّ عام 1995م، وحصل على الدكتوراه في الآداب قسم الدراسات العربيّة والإسلاميّة من جامعة هيدلبرج بألمانيا عام 1997م. وترأس القسّ ثروت قادس عام 2004م مجمع مشيخة الدلتا الإنجيليّ حتى 2005م، وشغل منصب رئيس اتحاد الجاليات المصريّة بأوروبا، وعمل أستاذًا في جامعة فرانكفورت في ألمانيا ومؤسِّس قسم الحوار الإسلاميّ المسيحيّ بالجامعة. رأس مجال الحوار والعلاقات المسكونية، الكنيسة المشيخية بمصر، سنودس النيل الإنجيلي. يشغل منصب رئيس مجلس إدارة الأكاديميّة الدولية للحوار بالكنيسة الإنجيلية بمصر- سنودس النيل الإنجيليّ، رئيس اتحاد المجلس الأعلى للجاليات المصرية بألمانيا. له العديد من الدراسات والكتابات المنشورة باللغة العربية. (يمكن الرجوع إلى: روبير الفارس. من مصر إلى ألمانيا رحلة عطاء القسّ ثروت قادس. القاهرة: ثروت قادس، 2008م).

الحوار والسِّجال: معانٍ ضابطة وغايات مختلفة

في كتابه القيّم "البحث عن العقل حوار مع فكر الحاكمية والنقل"، يُفَرّق محمد نور فرحات بين الحوار والسِّجال، فيقول: الحوار يفترض استعدادًا مبدئيًّا ومُعلَنًا ومقبولًا من كل طرف لقبول حجة الطرف الآخر إن أصابت موقع الحقيقة وكبد الصواب. والحوار يفترض قبول كل طرف لتعديل مواقفه التي كان عليها قبل بدء الحوار إلى مواقف أخرى جديدة يثبت الحوار صدقها. أما المساجلة فهي شيء آخر مختلف تمامًا ويقف على نقيض الحوار. إنها حرب الآراء والكلمات والصرخات تستخدم فيها كل فنون الحرب المعروفة مشروعةً كانت أم غيرَ مشروعةٍ. (فرحات، 7).

ويوضح فرحات أنَّ الغايات مختلفة، فـ"غاية الحوار هي بناء موقف جديد أكثر تقدمًا ونضجًا وعقلانيّة من الموقف الفكري السابق على الحوار، أما غاية السجال فهي هدم أفكار الطرف الآخر، ولا بديل عن ذلك، ودون ذلك الحرب والخصومة والقتال، الحوار هو خطوة إلى الأمام على طريق الوصول إلى الحقيقة التي غالبا ما تكون إن صَدَقَتِ النوايا وسطًا بين نقيضين، أما السِّجال فهو هجوم كاسح لقهر أعداء الحقيقة الواحدة التي لا بديل عنها ولا صواب غيرها. فهل آنَ للفرقاء بعد طول مساجلاتهم أن يكونوا مستعدين للحوار إخلاصًا لوجه الله والحقيقة والوطن، أظن أنهم يجب أن يكونوا مستعدين لذلك مقبلين عليه. (فرحات، 7–8).

دور كتب الرد على النصارى في الجدل/الحوار

في تاريخ الفكر الإسلاميّ المسيحيّ –ولاسيما في بداية الالتقاء المبكر– ظهرت كتابات سميت بـ"كتب الرد على النصارى" من المؤلفين المسلمين والتي بدأها الإمام أبو القاسم الرسي وعلي ابن ربن الطبري، (يمكن العودة إلى كتاب عبد المجيد الشرفي: الرد على النصارى في العصر الوسيط). وفيما يقابلها من كتابات المؤلفين المسيحيّين –في العصر الوسيط– من كتابات مثل: "البيان" و"البرهان" و"الإيضاح".

وأحدثت هذه الكتابات –على الرغم من قسوتها– في بعض الأمور حراكًا فكريًّا ولاهوتيًّا نشَّط التفكير اللاهوتيّ لدى المسيحيّين، وعلم الكلام عند المسلمين، وحفَّزَ على الإبداع اللاهوتيّ والفقهيّ لدى الطرفين. وستظل هذه الكتب هي مصدر إلهام متجدَّد للحوار الإسلاميّ المسيحيّ في منطقة

الشرق الأوسط للوصول إلى التعايش المشترك وصناعة السلام المبني على الفهم والوعي والإدراك والقدرة على الحوار وقبول الآخر.

وفي دراسة اللاهوت الجدليّ، يضع رضوان السيد قاعدةً مهمةً وهي القراءة التجاوزية لبعض النصوص. وعندما نقترب من هذا التراث الجدليّ نحن لا ندعو إلى إحيائه، يقول رضوان السيد: "ولذا فإنَّ قراءة الجدل الإسلاميّ ضد المسيحيّة ينبغي أن تكون قراءة تجاوزية مثل قراءتنا لسائر التراث العربيّ الإسلاميّ: الاستيعاب النقديّ، والتجاوز، وليس إحياء التراث" (السيد، 174).

ومن هنا نرى إعمال العقل النقدي، وتجاوز كل مراحل التاريخ والأفكار التي تدعو إلى تهميش أو الآخر ازدرائه. ولذلك يجب قراءته في ضوء القرينة والسياق والمعطَيَات التاريخيّة والثقافيّة، وتحليل المضمون والمعنى، وتجاوزه، ومحاولة الاستفادة منه بما يخدم العلاقات بين أتباع الديانات والثقافات في محاولة للفهم والعبور للآخر.

ومن القراءات التجاوزيّة لمرحلة غلب فيها السجال والجدل على الحوار، وسادت فيها مقارنات الأديان على حوار الأديان، لمعرفة ما هو الدين القويم، إلى مرحلة ثالثة فيها نوع من الفهم والوعي مبني على حوار حقيقي عاقل وفكر مستنير. وهي حركة ديناميكيّة تبادليّة، أبدع المؤلفان في عناوينهما: من الجوار إلى الحوار، ومن الحوار إلى الجوار.

علامة ومنهج متميز: من الحوار إلى الجوار ومن الجوار للحوار

الكتابان يتحدثان عن مساحة مُشتَرَكة جديدة في أدبيَّات الكتابة بين الإسلام والمسيحيّة، وهي تعبِّر عن علامة ومنهج متميزَيْن، وتقود إلى ديناميكيّة، وديناميكيّة هذه المساحة المشتركة هي الحوار، وكأنهما يؤكِّدان على الانتقال من جغرافيا المكان (الجوار) إلى جغرافيا الفكر (الحوار). والانتقال من دراسات مقارنة الأديان إلى دراسات الحوار الفعليّ والجاد بين أتباع الديانات والثقافات.

ولعل هذا التقابل بين الرؤيتين: من الجوار إلى الحوار للشاهد، ومن الحوار إلى الجوار لقادس، يعبِّر عن ديناميكيّة –أي حركة وتفاعل، تقارب وفهم– تقود للتعايش المشترك. والكتابان يؤسِّسان لأسلوب جديد في الكتابة، لم نعهده من قبل، فيه قدر كبير من الوضوح والانفتاح والصراحة بحيث نقبل ما هو متفق عليه، وفي نفس الوقت نحترم ما هو مُختَلَف فيه، ويجعلان من الحوار

الدينيّ في بعض القضايا –ولا سيما القِيَمِيّة والأخلاقيّة واللاهوتيّة والحياتيّة– مدخلاً مُشتَرَكًا للفهم والتواصل. وينطلقان من رؤية دينيّة منفتحة تفهم ذاتها وتستوعب الآخر.

ولعل الهدف من كتاب الشاهد هو محاولة الرد على الأسئلة المثارة حول الإسلام في العقود الأخيرة: "على الرغم من كل التقدم التي وصلت إليه الإنسانية فمازالت هناك فجوة معرفية عن الإسلام وحقيقته؟ وهل تلك الفجوة هي السبب فيما سُمِّي في وقتٍ ما بصراع الحضارات؟ كل تلك الأسئلة دائما ما كانت تُناقَش طوال عقود ولكن من جانب واحد في حلقات مغلقة مفرغة بعيدة عن طرف القضية الآخر، دون مواجهات حقيقية بين طرفي القضية، الأمر الذي جعل هناك جهلًا للمهتمين ولغير المهتمين لالتباس بعض المعلومات لديهم وعدم وجود من يرد عليها". (بوابة الحركات الإسلاميّة، الانترنت).

والأسئلة التي يرد عليها في الكتاب هي: لماذا اتخذ كلٌّ من المسيحيين والمسلمين بعضهما خطرًا على الآخر؟ ومتى نشأ هذا الإحساس بالخطر؟ ولماذا الإسلام بعينه دونًا عن الديانات الأخرى مثل البوذية والهندوسية؟ لماذا الخلاف على الرغم من اعتراف كلٍّ منهما بالآخر؟ وهل الاختلاف بين الديانتين حول تفاصيل داخل العقيدة؟ ولماذا بعد مرور 1400 عام من ظهور الإسلام أصبح العالم يراه خطرًا على حضاراتهم؟ (بوابة الحركات الإسلاميّة، الإنترنت).

أهمية الحوار حسب قادس

يرى قادس ضرورة أن نرتقي بالحوار ليصب في بؤرة تعمِّق أواصر الإخوة في الوطن والثقافة، وينعكس أثره على الخطاب الديني لكلتا الديانتين، ويعي نقاط الخلاف بما يوجب احترام معتقدات الآخر، ويدعم نقاط الاتفاق في رؤية واقعية تسد الطريق أمام الطائفية والتطرف، ويؤكد مفهوم المواطنة الصالحة الذي يعلو فوق كل الفوارق العقائدية والطائفية والعرقية. (البيان الإنترنت).

ويؤكِّد الشاهد على أن الحوار مفيد ومهم لكافة الأطراف، يقول الشاهد: "الرغبة القوية الحالية في الحوار هي بهذا المفهوم نتيجة يأس الإنسان المعاصر من الوصول إلى أهدافه المشروعة أو غير

المشروعة عن طريق العنف، ولم تكن، في نظري، نتيجة لميل أو تطور طبيعي حميد في عقلية الإنسان المعاصر، إلا أن هذه الرغبة القوية في الحوار تستحق منا، مهما كانت أسبابها، كل تأييد ودعم ومشاركة إيجابية علها تؤتي أكلها بعد حين". (الشاهد، 6).

وحسب الشاهد تتمثل أهم دعائم إنجاح الحوار الحضاري في القناعة المبنية على الواقع في وجود نقاط التقاء مشتركة بين الإسلام والمسيحية، والعزم الصادق على استثمارها إلى أقصى حد ممكن بهدف الوصول إلى فهم صحيح، واحترام متبادَل وتعاون بنَّاء مُخلِص بين جميع أطراف الحوار. (الشاهد، 11).

ولذلك يناقش قادس أهمية الحوار الإسلاميّ المسيحيّ وأهدافه، في كتابه المشار إليه: من الحوار إلى الجوار، في الآتي:

1- التعايش المشترك والسلمي بين جميع البشر في العالم.
2- لا يتم ذلك إلا بتوضيح بعض الحقائق المهمة لكي يدرك كل شخص أن الآخر أيضًا عنده الحق في إيمانه ولو كان جزئيًّا ويختلف عن الآخر.
3- لا يكفِّر أحدٌ الآخرَ؛ فالله وحده صاحب السلطان المطلق؛ فهو الذي يدين ويغفر للناس خطاياهم وليس من حق إنسان أن يدين الآخر.
4- عبادة الله وطاعته وخدمة الوطن، والتعاون والتضامن معًا لخدمة المجتمع. (قادس، 99-100).

معوِّقات الحوار حسب الشاهد:

وفي كتابه يناقش الشاهد معوقات الحوار في ثلاثة: معوقات تاريخيّة سياسيّة تراكمت عبر التاريخ وشكلت سدًّا وحاجزًا في العلاقة الإسلاميّة المسيحيّة، ثم معوقات تأويليّة عند بعض المسلمين والمسيحيين، ثم معوقات فرديّة تتعلق بالأفراد الذين يتصدرون المشهد، وكل واحدة منها تحتاج لشرح كبير. (الشاهد، 7-8). كل هذه المعوقات مجتمعة معًا أو فردية لا يمكن أن تنتج حوارًا حقيقيًّا.

ويتفق قادس مع هذه المعوقات، فيسرد المؤلف معوقات الحوار بين الإسلام والمسيحية، وهي، كما يقول، معوقات تاريخية وسياسية نتجت عن صراعات وحروب بين طرفي الحوار «الإسلام والغرب»، لم تنتهِ حتى عهد قريب، مثل الحروب الصليبية وحرب ما سُمِّي بالتطهير العرقي في البوسنة والهرسك، وكذلك موقف الغرب غير المنصف من القضية الفلسطينية، كما أشار المؤلف أيضًا إلى ما أسماه بالمعوقات التأويلية عند بعض المسلمين والغربيين المسيحيين تتمثل في عدم اعتراف أحد أطراف الحوار بسماوية الدين الآخر، فضلًا عن وجود معوقات فردية تتعلق بمدى أحقية الشخص المشارك في الحوار في الحديث باسم دينه، واعتبار نفسه ممثلًا للقاعدة العريضة لهذا الدين أو ذاك. (البيان، الإنترنت).

وأكد قادس أن الجهل وعدم المعرفة بالدين الآخر يأتي على قمة المعوقات للحوار بين الإسلام والمسيحية، لافتًا إلى أن هناك من لا يعرفون حقيقة دينهم ويشوّهون الحق، وبالتالي لا بد من الفصل بين الإرهاب والدين؛ ذلك لأن الكثير من الناس يسيئون استخدام الدين لتحقيق أهداف معينة. (البيان، الإنترنت).

وبذلك في ضوء أهمية وفائدة الحوار، وفي ظل وجود معوِّقات له، يكون السعيُ الدائمُ من المهتمين به هو تعزيز لغة الحوار، وفي نفس الوقت إزالة وتخطي المعوقات التي تعيق الحوار والعلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، في نوع من الرغبة الحقيقية للمعرفة المدعومة بحب حقيقي ومشاعر صادقة.

من الجوار للحوار للشاهد: واقع ماديّ ومعنويّ

ينطلق السيد الشاهد في كتابه من "الجوار إلى الحوار" الذي يراه واقعًا بين المسيحيين والمسلمين بجانبيه الماديّ والمعنويّ المعروفين في العقيديتين المسيحيّة والإسلاميّة، ويرى أن يُرتَقَى بهذا الجوار من مرحلة جوار الجدران إلى حوار الجيران، بما يحمله من معانٍ إلى مستوى الحوار الفكري والديني المتخصص الذي يصب في بؤرة تعميق أواصر الأخوة في الوطن والثقافة، آملاً أن ينعكس هذا الحوار في النهاية إيجابيًّا على الخطاب الديني لكلٍّ من الإسلام والمسيحيّة، فيصبح

خطابًا توفيقيًّا جمعيًّا يعي نقاط الاختلاف بما يوجب احترام معتقد الآخر، ويدعم نقاط الاتفاق في رؤية واقعية متوازنة تسد الطريق أمام كل أطياف التطرف ومشاربه.

من الحوار إلى الجوار لقادس: مدخل ومعبر ومجاز للتعايش المشترك

وتنطلق رؤية قادس من "الحوار إلى الجوار" فجعل من الحوار مدخلاً ومعبرًا ومجازًا للعيش المُشتَرَك، فيتكلم عن الحوار وأهميته ومجالاته وأصوله وكيفيته، ثم مستقبل الحوار الذي يتطلب جهدًا من أولي الأمر والمثقفين والمسؤولين عن تربية النشء، لشرح المفاهيم الإيمانية الصحيحة والسليمة للأديان السماوية حتى لا يُستَغَل الدين كأداة للصراع والتفرقة بين الشعوب.

وإذا عُدنا –والكلام هنا لقادس في آخر سطور الكتاب– إلى منبع الأديان منذ خلق اللهُ سبحانه وتعالى آدمَ عليه السلام، نجد أنها تتفق في جميع المبادئ التي تخص مقاومة الفساد والمنكر والفسق وتدعو إلى البر والتقوى. (قادس، 152).

يؤكد المؤلف أن الحوار المثمر بين الأديان أو بين الحضارات المتدينة –حسب تعبيره– ينبغي ألا يكون حوارًا عقائديًّا، وإنما حوار أخلاق ومعاملات على أرضية القيم والمبادئ الإنسانيّة العليا، والاعتراف بقيمة الإنسان ومجموعة حقوقه في الحرية والحياة والعمل وغيرها. (البيان، الإنترنت).

ويبين المؤلف أهمية الحوار في استقرار المجتمعات وتقدمها؛ باعتبار أن الحوار لا يجب أن يكون مواجهةً ضد الآخر أو استعلاءً عليه، وإنما هو تفكير مع الآخر يقوم على مبدأ التكامل، وينمي الشعور بوحدة الوجود الإنساني، حيث ينضج الوعي الحضاري داخل الإنسان فيرى الحضارات كلها وكأنها تسير في موكب واحد، وتتناقل شعلة يسلمها السابقون إلى اللاحقين، وأن جو التكامل في إطار وحدة الإنسانية يوجب على الحضارات أن تسير متجاورةً في خطوط متوازية توحي بالتساوي والمساواة، وتنعدم فيها فرصة الصدام أو الاحتكاك. (البيان، الإنترنت).

ديناميكية العيش المشترك:

تبقى الدعوة هنا إلى التأكيد على أنه سواء انطلقنا من الجوار إلى الحوار، أو من الحوار إلى الجوار يبقى الحوار هو العامل المُشتَرَك الديناميكيّ المحرك الفاعل الناشط لانطلاق الرؤية التي تنقلنا من التقارب الجسديّ (الجوار) والتباعد الفكريّ (الانعزال) إلى التقارب الجسديّ (الجوار) والتقارب الفكريّ (الحوار والتعايش) فنحيا في تعايش وسلام حقيقي يقبل الآخر ويحترمه، فهي دعوة لحوار الحياة، وحوار القيم، وحوار اللاهوت، لنحيا من الجوار للحوار حسب رؤية الشاهد ومن الحوار (فرضية الوجود المكانيّ) إلى الجوار بحسب رؤية قادس (فرضية الحوار الفكريّ)، لنحقق التعايش المشترك في أسمى معانيه.

ويجب علينا أن نتخذ الحوار من وجهة نظر مسيحيّة إسلاميّة مصريّة وإن كنا نستفيد أيضًا من القواعد الأخرى ولكنها لا تنطبق كلها علينا. فلا فرق بين مسلم ومسيحيّ بل نفرح معًا، ونحزن معًا. فمفهوم الحوار والجوار معًا يستلزمان في الدرجة الأولى أن يعرف كلٌّ منا الآخر معرفةً حقيقيةً، كما أن الحوار ما هو إلا وسيلة للوصول إلى هذا الهدف الأعظم في المجتمع، ونسميه التعايش السلميّ، فثقافة الحوار، وثقافة السلام متلازمتان. من هنا ترى المسيحيّة والإسلام أن الله هو السلام وعلى الإنسان أن يصل إلى هذه الحقيقة، أن يكون له سلام مع الله، مع نفسه، ومع الآخرين. لذا فلا مكان لمن يحاول أن يفصل بيننا فيجب علينا أن ننتبه ونكون ساهرين لا نعطي لعدونا مكانًا. (مهدي، researchgate).

يقول وليم سليمان قلادة في مؤلَّفه الإسلام والمسيحيّة على أرض مصر: وأحسب أنني بدأت أفهم أن الدين: المسيحيّة والإسلام قد رسَّخا في ضمير المصريّ وفي نظرته إلى الكون مفهومًا للإنسان هو جزء بالغ الأهمية والقيمة في تراث كل فريق وفكره. (قلادة، 8). وسيبقى الإنسان هو موضوع الحوار في قضاياه ومشكلاته في أمانيه وطموحاته، هو القضية وهو الحل.

الحوار والعيش المشترك بين أتباع الديانات والثقافات:

في نفس السياق، ومن نبع هذ المدرسة، صدر كتاب عن مؤسَّسة "نيو بوك للنشر" يحمل عنوان "الحوار والعيش المشترك بين أتباع الديانات" للدكتورة هدى درويش أستاذ ورئيس قسم الأديان

المقارنة بجامعة الزقازيق، حيث قدَّم المؤلف الدكتور علي جمعه، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف ومفتي الديار المصرية السابق ورئيس اللجنة الدينية بمجلس النواب، والدكتور ثروت قادس رئيس مجلس إدارة الأكاديميّة الدولية للحوار بالكنيسة الإنجيليّة بمصر ورئيس اتحاد المجلس الأعلى للجاليات المصريّة بألمانيا. وفي عرضه للكتاب يضع محمد عبد الرحمن عددًا كبيرًا من الملاحظات المهمة، التي تزكي الحوار والعيش المشترك، أذكر منها ثلاث ملاحظات قيمة:

1- الحوار الحضاريّ مع الآخر التنازل لا يعني عن الثوابت، وإنما الاحتكام إلى القواسم المُشتَرَكة، وإلى القدر المُشتَرَك من القيم والمُثُلِ والمبادئ التي لا خلاف عليها في الأديان، وهو يعنى البناء على الأسس والمبادئ الأخلاقيّة الصحيحة الواردة في المصادر الدينيّة، وإشاعة قِيَم العيش الدينيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ بين المجتمعات الإنسانيّة، والتعاون من أجل تحقيق الأهداف المشتركة. (محمد عبد الرحمن، الإنترنت).
2- أهمية تفعيل دور الحوار الدينيّ على مستوى العالم درءًا للمخاطر والمواجهات والصراعات والعمل على حل المعضلات التي تثار بين المذاهب والفرق الدينية داخل الدين الواحد تحقيقاً للسلام والأمان في المجتمعات، وحقنًا لكل أنواع العنف والتعصب والتطرف، وترسيخًا للتقارب والتواصل الإنسانيّ بين شعوب الأرض، وأيضًا لمواجهة الاتجاهات والمذاهب غير الدينيّة الرافضة والمعادية للدين مثل الشيوعيّة والإلحاد، والتي نجحت في غزو الحياة الفكريّة للإنسان. (محمد عبد الرحمن، الإنترنت).
3- الحوار يدعو إلى الاعتراف بأحقية كل فرد في دينه وحريته في معتقده، ويحث على الاحترام والثقة المتبادلة بين أفراد الإنسانيّة، وإدراك إن الأرضية المتوسطة للتفاعل التّاريخيّ والتّعاون العقلانيّ هي الطريق الصحيح للحضارة، وأن الفهم الواعي بأن الإنسان إذا تجاوز الحدود المادية والأنانيّة والتعصب، وشعر بالأخوة الحقيقيّة بينه وبين أبناء جنسه من البشر، فسوف يترقى إلى مراتب إنسانيّة عليا من السمو والإبداع. (محمد عبد الرحمن، الإنترنت).

مدخل نقدي:

اتفق كلٌّ من الشاهد وقادس في كتابيهما على أن الحوار لا يكون في اللاهوت أو العقائد ولكن في القيم والمبادئ الأخلاقية، وكأن القيم الأخلاقية منفصلة عن التفكير اللاهوتيّ. وأعتقد كخطوةٍ أوليةٍ للحوار، أن هذه الخطوة مقبولة لبث روح الثقة والقبول كلٌّ طرف للآخر، ولكن الحوار اللاهوتيّ حول العقائد مهم ومطلوب في أيامنا هذه، شريطةَ أن يتم بفهم ووعي واحترام. وليس الهدف من الحوار التبشير أو الأسلمة، ولكن معرفة الآخر ومنظومته اللاهوتيّة والفكريّة في علمي: الكلام الإسلاميّ واللاهوت المسيحيّ. ويكون بضوابط علمية ومنهاجية هدفها التعرف على الآخر، ومعرفة الفكر الديني والعقيدي لكل طرف، وقبول المُتَّفق عليه، واحترام المُختَلَف فيه. مثل هذه الحوارات تزيد من التماسك الاجتماعيّ واللحمة الوطنية وتشيع ثقافة السلام.

خاتمة:

في رؤية كلٍّ من الشاهد وقادس نرى أنَّ الدين عامل أساسي في التعايش المشترك، وذلك بناءً على فهم حقيقي له، ورؤية واقعية للآخر دون إقصاء أو تهميش أو ازدراء، والخبرة المصرية عبر أكثر من 1400 سنة خير دليل على ذلك، فمن التجاور الجسديّ إلى التحاور الفكريّ تكمن ديناميكيّة وعبقريّة العيش المشترك. بالطبع الصورة ليست وردية؛ ففي بعض الحقب الزمانية كانت القسوة وكان التهميش والرفض، ولكن يظل الأمل في التركيز على القيم الإيجابيّة، والمبادئ الأخلاقية المُشتَرَكة، والمبادرات المفيدة، والفكر البنَّاء، ويجب التركيز على هذه الكتب وتدريسها للأجيال لمعرفة الآخر من منابعه الأصلية لكسر كافة الصور النمطية عن الآخر المختلف، وبناء الجسور بدلاً من العوازل الفكريّة.

العيش المشترك ضرورة إيمانيّة وحضاريّة، وهو ليس أمرًا ساكنًا خاملًا، ولكنه فعل ديناميكيٌّ متحرك فاعل ومؤثر، وهذا يأتي من خلال الحوار، ولا بديل عن الحوار. فلنحيا هذه الحركة من الجوار للجوار ومن الحوار للجوار في التركيز على الهموم والآمال المشتركة.

المراجع

رحومة، مصطفى. **رئيس الإنجيليّة يهنئ ثروت قادس لفوزه في الانتخابات البرلمانية بألمانيا مصري يفوز بمقعد في "برلمان لانغن" بألمانيا**. الوطن، 1 أبريل 2021م. متاح على موقع https://www.elwatannews.com وتم الاطلاع عليه في 3 ديسمبر 2023م.

السيد، رضوان. **التفكُّر الإسلاميّ في المسيحيّة الجدال والحوار والفهم المختلف في العصور الوسطى**. مجلة التفاهم، 2006م.

الفارس، روبير. **من مصر إلى ألمانيا رحلة عطاء القس ثروت قادس**. القاهرة: ثروت قادس، 2008م.

صلاح، عيد. **ديناميكيّة العيش المشترك من الجوار إلى الحوار ومن الحوار إلى الجوار محمد السيد الشاهد وثروت قادس أنموذجًا**. اليوم السنوي الثامن للتراث القبطيّ: التراث القبطيّ وقضايا التسامح والتعايش، 16 مارس 2023م. مركز الدراسات القبطيّة، مكتبة الإسكندريّة.

الشاهد. السيد محمد. **المسيحيّة والإسلام من الجوار إلى الحوار**. القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، 2001م.

الشرفي، عبد المجيد. **الفكر الإسلاميّ في الرد على النصّارى، إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر**. بيروت: دار المدار الإسلاميّ، 2007.

عبد الرحمن، محمد. **الحوار والعيش المشترك بين أتباع الديانات.. كتاب جديد لـ هدى درويش**. في اليوم السابع الثلاثاء، 29 يونيو 2021م متاح على https://www.youm7.com وتمَّ الاطلاع عليه في 7 ديسمبر 2023م.

عرض كتاب: **المسيحيّة والإسلام من الجوار إلى الحوار**، بوابة الحركات الإسلاميّة، الاثنين 27 يناير 2014م، متاح على https://www.islamist-movements.com وتم الاطلاع عليه في 1 ديسمبر 2023م

عرض كتاب: **المسيحيّة والإسلام من الحوار إلى الجوار**، مجلة البيان، 30 مايو 2008م، متاح على موقع https://www.albayan.ae وتم الاطلاع عليه في 1 ديسمبر 2023م.

فرحات، محمد نور. **البحث عن العقل حوار مع فكر الحاكمية والنقل**. القاهرة: دار الهلال، 2001م.

قادس، ثروت. **المسيحيّة والإسلام من الحوار إلى الجوار**. القاهرة: دار البستاني للنشر والتوزيع، 2006م.

قلادة، وليم سليمان. **الإسلام والمسيحية على أرض مصر**. القاهرة: دار الحرية للصحافة والنشر والتوزيع، 1986م.

مهدي، خديجة فيصل. **المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار**. مجلة الأهرام العربيّ، 20 مارس 2012م. متاح على موقع https://www.researchgate.net/publication وتم الاطلاع عليه في 2 ديسمبر 2023م.

درويش، هدى. **الحوار والعيش المشترك بين أتباع الديانات**. القاهرة: فرست بوك للنشر، 2021م.